(الصراط) ألفاظه وتراكيبه في القرآن الكريم
دراسة في الدلالة السياقية

م. د. أحمد صابر راضي
كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) للعلوم الاسلامية الجامعة

الكلمات المفتاحية : الصراط ، السياق ، المصاحبة ، المعنى ، القرائن)

الملخص : جاءت هذه الدراسة لتحديد دلالة (الصراط) في ضوء الكتاب والسنة ، واللغة باتباع المنهج السياقي الذي أسهم بنحو واضح في الكشف عن المعنى المراد بالصراط المستقيم في القرآن الكريم ، إذ تبيّن أنّه لا يمكن أن يفسر الصراط بالسبيل أو الطريق لأنّهما وراد في سياق واحد لحادثة واحدة في أكثر من موضع بعطف أحدهما على الآخر ، والعطف يقتضي المغايرة في المعنى ، فضلاً عن إنكار اللغويين والبلاغين لوجود ظاهرة الترادف في اللغة فكيف الحال في النص القرآني الذي تعد القصدية سمة بارزة فيه ، ولا يمكن أن يفسر الصراط بالقرآن الكريم ؛ لغياب الدليل الروائي ، والسياقي لهذا التوجيه ، إذ لم يقترن لفظ القرآن بالصراط في سياقات متنوعة في النص القرآني ، ولم ترد أحاديث متواترة تشير إلى هذا المعنى ، ولا يمكن أن يفسر الصراط بالأنبياء أو النبوة لأنّ السياق القرآني كشف عن أنّ السياقات التي ورد فيها آقتران الأنبياء بالصراط أشارت إلى أنّهم هدوا إلى الصراط لا الصراط نفسه ، ولا يمكن تفسير الصراط بالأعمال الحسنة أو الزيادة في طلب الإيمان ؛ لأنّ السياق القرآني كشف عن ذكر مقامات عظيمة للأنبياء كالإمامة والخلّة ،والاجتباء وإحياء الموتى وغيرها من المقامات التي تفوق كل عمل حسن وتعلو على كل إيمان ومع ذلك لم يصفهم النص بأنّهم هم الصراط المستقيم ، بل هدوا إلى الصراط .

ABSTRACT : This study came to determine the significance of (AL- SERAT) in the light of the Qur’an and Sunnah, and the language by following
The contextual approach that clearly contributed to revealing the meaning of the straight path in the Noble Qur’an, as it was found that the path cannot be explained by the path or the path because they are contained in the same context for one incident in more than one place with sympathy for one of them on the other, and sympathy requires a different meaning, In addition to linguists and rhetoricians denying the existence of the phenomenon of synonymy in the language, how is the situation in the Qur’anic text, in which intentionality is a prominent feature, and the path cannot be explained by the Holy Qur’an? Due to the absence of the narrative and contextual evidence for this directive, as the word Qur’an was not associated with the path in various contexts in the Qur’anic text, and there were no frequent hadiths indicating this meaning, and the path cannot be explained by the prophets or prophecy because the Qur’anic context revealed that the contexts in which the conjunction of the prophets was mentioned By the path, she indicated that they were guided to the path, not the path itself, and the path cannot be explained by good deeds or an increase in the request for faith; Because the Qur’anic context revealed the mention of great stations for the

prophets, such as the Imamate, the Khalah, the Ijtiba, and the resurrection of the dead, and other stations that surpass every good deed and transcend every faith.

تــوطــئــة

للسياق أثر كبير في الكشف عن دلالة الألفاظ وتوضيحها ؛ لأّنه يحدد المعنى ويزيل ما يكتنفه من غموض ، فالمعنى السياقي لا يحتمل غير معنى واحد ، إذ إنّ اللفظة لها معنى أصل ، ومعنى سياقي تكتسبه من خلال النص الذي توضع فيه .[١]

فاللفظة تحمل معنى غامضا لكنه ينكشف من خلال الاستعمال ، إذ إنّ القرائن اللغوية وغير اللغوية تتضافر على توجيه المعنى بنحوٍ لا ينصرف إلى سواه ، وهذا المعنى هو المعنى السياقي الذي تكتسبه اللفظة بتضافر تلك القرائن فيصبح للفظة معنى آخر ودلالة آخرى تضاف إلى حقلها الدلالي [٢].

والتفت ابن فارس (ت ٣٩٥ ه) إلى أنّ معنى اللفظ يتحدد في ثلاثة مستويات هي : (القصد ، والتفسير ، والتأويل) فعندما نقول : عنيت بالكلام ، أي : قصدت به ،والتفسير إظهار ما ستر وخفي ، والتأويل : آخر الأمر .[٣]

ويفهم من كلام ابن فارس أنّ المعنى التأويلي عنده يقابل المعنى السياقي عند المحدثين ؛ لإنّ التأويل عنده نهاية المعنى وعاقبته ، ويعني به الدلالة التي ترتكز في ذهن المتلقي بوساطة القرائن اللغوية وغير اللغوية التي تسهم في تحديد دلالة اللفظة وما يؤول إليه معناها ، وهذا هو المعنى السياقي الذي جاءت به النظرية السياقية .

ولذا فإنّ المنهج السياقي منهجا ملائما لدراسة لفظ (الصراط) في القرآن الكريم ؛ لإنّ القرائن اللغوية لا تكفي في الكشف عن دلالة هذا اللفظ ولا تسهم في تحديد معناه ، بل نحتاج إلى ضم القرائن غير اللغوية ، والمعارف القرآنية المتعلقة بلفظ (الصراط) ، وعرض السياقات القرآنية التي ورد فيها ليتسنى لنا الوقوف على دلالة (الصراط) وتوجيه معناه كما أراده القرآن الذي دعانا إلى التدبر والتعمق في معانيه.

والقرآن نص مقصود اتسقت مفرداته تمام الاتساق ، واللفظة فيه مختارة في موضعها وصيغتها في التركيب بفعل السياق ، فلا يمكن أن تستبدل بلفظة أخرى ، فكل ما يرافق اللفظة القرآنية من مصاحبات لغوية ، وتراكيب متنوعة تحمل بلا شك دلالات مقصودة وتلفت الأذهان إلى أبعاد معرفية تتسم بها هذه اللفظة . [٤] وتحاول هذه الدراسة الكشف عن معنى (الصراط) في الاستعمال القرآني ، وتحديد دلالته ، والوقوف على أسرار التعبير بألفاظه وتراكيبه المتنوعة الواردة في السياق القرآني كالآتي :

معنى (الصراط) عند اللغوين والمفسرين

يرى بعض اللغويين والمفسرين أنّ كلمة (الصراط) عربية وليست معرّبة ، وأصلها : (سراط) بالسين ، مأخوذة من قولهم : (استرط ،أي : ابتلع) وسمي بها الطريق مجازا ، فقيل للطريق صراط ؛ لأنّه يسترط الناس ، أي : يبتلعهم ، ويرى بعضهم أنّها معرّبة ، وتعني : الطريق بلغة أهل الروم [٥] .

وفسره أبو هلال العسكري (ت٤٠٠هـ) بالطريق السهل ، قال : (إنّ الصراط هو الطريق السهل ، قال الشاعر :

حشونا أرضهم بالخيل حتى تركناهم أذل من الصراط [٦]

وذهب الراغب الأصفهاني (ت ٥٢٨ هـ) إلى هذا المعنى فقال : (السراط :الطريق المستسهل) [٧]

ويرى الزمخشري (ت٥٢٨هـ) أنّ معنى الصراط هو ملة الإسلام [٨] ، وفسّره الزبيدي (ت١٢٠٥هـ) بالسبيل الواضح [٩] ويرى آخرون أنّ معناه القرآن الكريم ، وقيل : الأنبياء ، وقيل : الشريعة .[١٠]

فتجد أنّ اللغويين والمفسرين اختلفوا في تحديد معنى (الصراط) ودلالته ، وهذا الاختلاف منشؤه أنّهم فسروا لفظا غير معروف ومعهود عندهم بآخر معروف لمجرد التقارب الصوتي بينهما ، فقالوا :

(الصراط : أصله :السراط) وألبسوه معناه من غير أن يأتوا بدليل على ذلك سوى شاهد واحد لشاعر مجهول ، وهذا لا يمكن قبوله أو الاطمئنان إليه ، لإنّ اللغة دليلها الاستعمال ، ولما لم يأتوا بنصوص معتبرة وشواهد متنوعة ثبت أنّ هذا اللفظ غير معهود عندهم ، ومما يؤكد ذلك أنّهم أرجعوه الى أصل رومي فهذا التخبط وعدم التثبت يؤكد أنّ لفظ (الصراط) لفظ قرآني لم يكن مستعملا عند العرب ، زد على ذلك أنّهم لم يذكروا اشتقاقا له في الكتب المعتبرة مما يؤيد عدم معرفتهم به .

ثم إنّك تجد أنّهم فسروا (الصراط) بمرادفه ، فقالوا : هو الطريق أو السبيل وهذا يصح لو كانّ اللفظ واردا في غير القرآن الكريم ، ولكن لما كان اللفظ واردا في القرآن قبح أن يفسر بمرادفه ، لإنّ في ذلك قدح ببلاغة القرآن وإعجازه اللغوي ، إذ يستلزم ذلك القول بعدم قصدية الألفاظ في القرآن وإمكانية تفسير الألفاظ بأخرى مرادفة لها ، وكان الأجدى الاكتفاء بلفظ واحد يؤدي المعنى المراد طلبا للإيجاز ، ولا شك أنّ ذلك بعيد عن بلاغة القرآن وبيانه ، لإنّ كل لفظ فيه جاء يؤدي وظيفة لغوية و دلالية لا يمكن أن يؤديه سواه من الألفاظ ، وهذا يعد عنصراً من عناصر إعجازه اللغوي [١١] ، قال الراغب : (وأتبع هذا الكتاب بكتاب ينبىء عن تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد وما بينها من الفروق الغامضة ، فبذلك يعرف اختصاص كل خبر بلفظ من الألفاظ المترادفة دون غيره من أخواته ، نحو ذكره القلب مرة ، والفؤاد مرة ، والصدر مرة ...) [١٢]

وقال ابن الأثير (ت٦٣٧هـ) : (ومن عجيب ذلك أنّك ترى لفظتين تدلان على معنى واحد وكلاهما حسن في الاستعمال ، وهما على وزن واحد ، وعدّه واحدة ، إلا أنّه لا يحسن استعمال هذه في كل موضع تستعمل فيه هذه ، بل يفرّق بينهما في مواضع السبك ، وهذا لا يدركه إلا من دقّ فهمه وجلّ نظره) [١٣] لذا لا يمكن أن يفسر (الصراط) بالسبيل أو الطريق ، بل إنّ لكل لفظ ملمحا دلاليا يؤديه يختلف عن غيره ، ولكل منها معنى محدد مقصود يتعلق بسياق معين ومخاطب محدد ، وهذه الدقة في اختيار تلك الألفاظ هي سر إعجاز القرآن وبلاغة لغته ، والذي يدل على ذلك أنّها جاءت مجتمعة في سياق واحد في القرآن كما في قوله تعالى : ((**وَإِنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**)) **الإنعام ١٥٣**،

وقوله تعالى : ((**وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ**)) **الأعراف ٨٦**

فمجيء (الصراط ، والسبيل) في سياق واحد بحادثة واحدة بعطف أحدهما على الآخر في أكثر من موضع في القرآن يدل على أنّ لكل لفظ منها معنى يختلف عن الآخر ، وقد التفت الجرجاني إلى ذلك بقوله :((وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ، ثم تجد لذلك اللفظ دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض)) [١٤] ، فهو يؤكد أنّ مقتضى الحال والسياقات اللغوية المصاحبة للفظة تكسبها معنى آخر لم تكن تدل عليه ولذلك ينبغي أن تدرس الألفاظ ضمن سياقاتها للوصول إلى معانيها الكامنة .

***الفرق بين الصراط والسبيل والطريق في الاستعمال القرآني ***

بعد التتبع لسياقات هذه الألفاظ في القرآن الكريم نجد أنّ هنالك ملامح دلالية تميز بها كلّ لفظ من الآخر ، وأنّ لكل لفظ منها خصائص لغوية وسياقية لا يتصف بها اللفظ الآخر هي :

١. ورد (الصراط) في القرآن الكريم بصيغة الإفراد والتذكير فقط ، وأمّا (السبيل ، والطريق) فقد وردا بصيغة الأفراد والجمع ، وهذا يدل على شيوع استعمال هذين اللفظين عند العرب ومعرفتهم بهما وجهلهم بلفظ (الصراط) وهذا يؤكد الرأي القائل إنّ هذا اللفظ جاء به القرآن الكريم ولم يكن معهودا عندهم ، زد على ذلك غياب الاشتقاقات للفظ الصراط فلم تذكر كتب اللغة أي اشتقاق لهذا اللفظ بخلاف لفظتي (السبيل ، والطريق) اللتين أوردت لهما كتب اللغة اشتقاقات متنوعة مما يؤكد تفرّد هذا اللفظ وخصوصيته .

٢. يتصف لفظ (الصراط) بالاتساع الدلالي إذ إنّه يشع بأكثر من معنى فيفهم منه الطريق ، وقد يتمثل بالأشخاص ، وربما دلّ عليهما معاً ، وفهم منه الشريعة ومنازل الآخرة ، والنبوة ، وغيرها من المعاني التي يشع بها هذا اللفظ ، وهذا ما لا نجده في لفظتي (السبيل، والطريق) إذ هما لا يدلان على معنى آخر إلا بقرنية .

٣. لفظ (الصراط) يصرف الذهن إلى منازل الآخرة ومشاهدها ،فيضفي هيبة وخشوعا لدى المتلقي ويترك أثرا نفسيا وعقائديا فيه ، فهذا اللفظ يشّد السامع إلى عوالم الآخرة وهذا غير متحقق مع لفظتي (السبيل والطريق) .

٤. يدل لفظ (الصراط) على معنى الهداية من غير الاقتران بمعنى الانحراف ، فالصراط يتصف بأعلى درجات الهداية ، ولذلك فسروه بأقدس المعاني وأشرفها ، بخلاف لفظتي (السبيل والطريق) اللتين تحملان معنى الانحراف والضلال فضلا عن دلالة الهداية ولكن لا يتحدد معنى الخير بهما إلا بذكر القرنية .

٥. المتأمل في سياقات (الصراط) في القرآن الكريم يجد أنّ الله تعالى هو الوحيد الذي يتحدث عن الصراط أو بأذنه ، فلم يجرِ الحديث عن الصراط إلا من لدن الله أو بأمره ، ولم نجد في سياق واحد من يتحدث عن الصراط غير الله ، وهذا يكسبه عظمة وقداسة ، ويؤكد تفرّده وخصوصيته ، ولا نجد ذلك مع لفظتي (السبيل، والطريق) إذ جرى الحديث عنهما في القرآن من لدن فئات عدّة ولم يتخصصا بفئة معينة .

٦. سياقات (السبيل) في القرآن الكريم تتحدث غالبا عن فئة ضالّة , والمخاطب فيها يختار الانحراف على الهداية , ويصد عن الحق , ولا يتمكن من الوصول إلى الهداية , ولا يوفق لها أبدا , من ذلك قوله تعالى : ((**و إِن الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ**)) **النساء ١٦٧** , وقوله تعالى : ((**وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً**))**الأعراف ١٤٦** , وقوله تعالى : ((**وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ**)) **الممتحنة ١** , وغيرها من السياقات التي تؤكد أنّ المخاطب في سياقات (السبيل) فئة ضالة منحرفة تختار الضلال وتصد عن الحق وهذا ملمح يتفرّد به لفظ (السبيل) عن (الصراط, والطريق) .

٧. سياقات (الطريق) في القرآن الكريم لا تتحدث عن طريق مادي يسلكه الإنسان , بل تتحدث عن طريق إعجازي أو معنوي كقوله تعالى : ((**وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ**))**المؤمنون ١٧** , وقوله تعالى : ((**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا**)) النساء ١٦٨،١٦٩ ، وقوله تعالى : ((**وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا**)) طه ٧٧ وقوله تعالى : ((**وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا**)) الجن ١١

٨. القرآن الكريم يتحدث عن (الصراط) بوصفه الغاية الإلهية التي يسعى لبلوغها جميع المخلوقات ،و أنّ جميع السبل التي لا تسير ضمن هدي الصراط تعد منحرفة ضالة – فالصراط مهيمن على كل العبادات ، وهو منشؤها وغايتها وقد أشار القرآن إلى ذلك في مواضع عدة ، منها قوله تعالى :((**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**)) الإنّعام١٥٣

وقوله تعالى :((**وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**)) ال عمران ١٠١ ولذلك اقترن لفظ (الصراط) بالفعل (هدى) في أغلب سياقاته .

ولذا لا يمكن القبول بإنّ الصراط يدل على السبيل أو الطريق في القرآن الكريم ؛ وقد تبيّن أنّ لكل لفظ منها ملمحاً دلالياً يختص به من دون سواه ، مما يؤكد إعجاز القرآن في اختيار لفظ (الصراط) لتأدية معانٍ مقصودة لا يمكن أن يؤديها مرادفه ، وأنّ له أسراراً بيانية كامنة يكشفها السياق والاستعمال .

*** الدلالة السياقية لألفاظ الصراط وتركيبه ***

يقوم السياق بتحديد العلاقات السياقية التي تربط الكلمات في التركيب ؛ لإنّ الكلمات في التركيب تكتسب قيمتها من مجاورتها للكلمات السابقة واللاحقة لها في أي تركيب أو نص ،ويحدد السياق نوع هذه العلاقة ،فالسياق هو تلك الأجزاء التي تسبق النص أو تليه مباشرة ، ويتحدد من خلالها المعنى المقصود ، فالألفاظ بتأثير السياق تكتسب معنى آخر يسمى المعنى السياقي الذي يفرض قيمة حضورية واحدة يعينها على الكلمة على الرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها . [١٧]

ولما كان (الصراط) واردا في القرآن الكريم تعيّن أن يمنحه السياق دلالات مقصودة يهدف إليها النص القرآني ، ويدعو المتلقي إلى التدبر فيها ، والوقوف على أسرارها لاسيما أنّ (الصراط) ورد في سياقات متنوعة بما يقتضيه المعنى ، وأنّ لكل سياق ورد فيه سمة تعبيرية خاصة تتردد فيه ألفاظ معينة بحسب تلك السمة فتطبع ألفاظها بتلك السمة ، إذ إنّه اختير بحسب السمة التعبيرية لكل سياق ورد فيه [١٨] ؛ ليرسخ في الأذهان قيمته المعرفية ، و وظيفته العقائدية التي يجهلها الكثير بسبب غياب القراءة القرآنية الشاملة له .

أحواله التركيبية

-أولاً : ورد لفظ (الصراط) معرفا بـــ (ال) في المواضع الآتية :

- قال تعالى : (**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**) الفاتحة ٦
- قال تعالى : (**وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ**) الصافات ١١٨
- قال تعالى : (**فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ**) طه ١٣٥
- قال تعالى : (**وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالاخرة عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ**) المؤمنون ٧٤
- قال تعالى : (**وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَإِنَّىٰ يُبْصِرُونَ**) يس ٦٦
- قال تعالى : (**فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ**) ص ٢٢

فتعريف الصراط بـــ (ال) يكشف عن أسرار بيانية كامنة أبرزها تقييد المعنى وتحديده ، لإنّ وظيفة التعريف في اللغة التحديد والتقييد [١٩] ، وهذا يقتضي أن يكون للصراط معنى محدد لا شائع

بين أفراد جنسه ، ثم إنّ التعريف بـــ (ال) يدل على معهود بين المتكلم والمخاطب رغبة في إيضاح اللفظ ليتمكن في ذهن المخاطب [٢٠] . مثال ذلك قوله تعالى : ((**مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ**)) النوره ٣ \ فتعريف (المصباح ، والزجاجة) جاء لبيان معهود صريح بين المتكلم والمخاطب رغبة في إيضاحه وتمكينه في ذهن المخاطب ، وقد يكون ذلك المعهود كنائي ، كقوله تعالى : ((**رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ انت السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا إِنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْإِنْثَىٰ**)) آل عمران ٣٥ , ٣٦ فتعريف (الذكر) جاء لبيان معهود كنائي تقدم ذكره في السياق ، فوظيفة التعريف هنا تحديد دلالة المعهود وإيضاحه ليترسخ في ذهن المخاطب فلزم تقدم ذكر المعهود صريحا أو كناية ليتسنى للمخاطب فهم الألفاظ ، وإدراك أسرارها . [٢١]

وقد يطوي السياق ذكر المعهود ليلفت الأذهان إلى أنّ المعهود بلغ من الشهرة والوضوح مبلغا لا يستدعي إعادة ذكره في كل سياق ؛ لأنّه تمكّن في ذهن المخاطب ، والغرض من ذلك بيان قيمة المعهود وقداسته ، ومثال ذلك :قوله تعالى :((**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**)) **القدر** ١ والمنزل هو القرآن الكريم بدليل قوله تعالى : ((**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ القرآن**)) سورة االبقرة ١٨٥ فالمعهود ورد في سياق سورة البقرة والضمير العائد عليه ورد في سياق سورة القدر ، ولم يلتبس ذلك على المخاطب ؛ لإنّ المعهود حاضر في ذهنه .[٢٢]

والمتأمل في سياقات (الصراط) يلتفت إلى غياب ذكر معهود الصراط في السياق القرآني ، فلم يذكر للصراط معهود ذكري أو كنائي في جميع السياقات القرآنية ليؤكد أنّ له معنى محددا معلوما ومقصودا وهذا يعني أنّ وظيفة النصوص والسياقات التي ورد فيها لفظ (الصراط) لا تعنى ببيان دلالته ، وتحديد هويته ؛ لأنه معلوم ومشهور بدليل تعريفه وحذف المعهود ، مما يدلّ على أنّه بلغ من الوضوح والشهرة مبلغا استلزم طوي ذكر ما يدل عليه أو يوضح معناه واقتصرت وظيفة النصوص على بيان قيمته ، ودعت المخاطب إلى معرفة لوازمه ؛ لينّبه على أنّ ذلك ضرورة من ضرورات الاعتقاد ، ولا ريب أنّ الاستعمال القرآني إذا خص لفظاً بسمات تعبيرية ،وسياقات متنوعة تحمل ملامح دلالية مشتركة تصحبه في أغلب السياقات التي يرد ذكره فيها اقتضى ذلك تفردا في الاستعمال ، وشرفا في المعنى يدعو المخاطب إلى الالتفات إليه والتأمل فيه .

ومن السمات التعبيرية التي يكسبها تعريف الألفاظ (بالألف واللام)الدلالة على أنّ اللفظ متصف بصفة بلغت حد الكمال في موصوفها ، فحين نقول : (جاء عالم فقيه)ليس كما نقول :(جاء العالم الفقيه) ، فالتعريف أكسب اللفظ مبالغة في الصفة وصرف الأذهان عن جميع الاحتمالات التي قد تصاحب الموصوف إلا كونه عالما فقيها ، فتحديد الموصوف والمبالغة في وصفه أبرز سمتين يؤديها التعريف ، مما يؤكد أنّ الصراط في الاستعمال القرآني له دلالة محددة ومعلومة ، ولا يمكن أن

يدل على أكثر من معنى ، بل يقع على معنى واضح ومعلوم ، وأنّ هذه السمات التعبيرية للتعريف مقصودة برمتها فالنص القرآني باختياره للفظ (الصراط) معرفًا بـــ (ال) نبّـــه على أنّ معناه محدد ومعلوم ، ولفت الأذهان إلى عظمته ، وبيّن أنّ المتصف به بلغ من الكمال والمنزلة مبلغا استحق بها أن يكون هو الصراط ، و أنّ الموصوف به ذات لا معنى . [٢٣]

(دلالة (الصراط) على الذات)

لقد أورد المفسرون معاني متنوعة للصراط ، ولم يحددوا دلالته ، بل إنّ كل مفسر فسّره بما يلائم منظومته المعرفية والعقائدية ، فلم يكن عندهم منهج محدد في توجيه معناه وكأنّ هذا اللفظ لم يفسّر من لدن النبي –صلى الله عليه وآله – فمن غير المعقول أن يلتبس معنى لفظ في القرآن يمثل عماد الإسلام ، وأوجب الله تلاوته في جميع الصلوات ، وجعله غاية لكل العباد وأمرنا بالدعاء لنيله وبلوغه ، فالإسلام بني على الصلاة ولا صلاة إلا بفاتحة الكتاب ، ولا فاتحة إلا بـــ ((**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**)) وما نزل القرآن إلا لهداية الناس إلى الصراط المستقيم ، فكيف نتصور أن يكون معنى الصراط مجهولا ، بل كيف ندعو الله بشيء لا نعرف معناه ، ولا شك أنّ القصدية إذا غابت عن الدعاء أصبح الكلام لغواً ؛ ولذلك وجب تحديد دلالة الصراط على وفق المنهج السياقي للقرآن ،وما تواتر من السنة الشريفة ، بتضافر العناصر اللغوية وغير اللغوية ليتسنى لنا الوقوف بموضوعية على المعنى المراد من لفظة(الصراط) في القرآن الكريم .

والمتتبع لأقوال المفسرين يجد أنّهم فسروا الصراط بالمعنى لا بالذات ، وإذا اضطروا لتفسير الصراط بالذات ضعفوا ذلك الوجه وجعلوه في هامش توجيهاتهم من دون ذكر علة لذلك ، وقد أورد الطبري أغلب تلك الأقوال ، وذكر أنّ المفسرين ذهبوا إلى توجيه دلالة الصراط بانّه : التوفيق على الثبات على الصراط ، أو ألهمنا الطريق الهادي ، أو طلب الزيادة والمعونة والتوفيق ،أو اسلكنا طريق الجنة ، أو القرآن الكريم ، أو الإسلام ، وفي هامش تلك الأقوال فسَّر الصراط بالذات فقال : إنّه رسول الله –صلى الله عليه واله–[٢٤]

ولكنّ الطبري يرى أنّ الأمة أجمعت على تفسير الصراط بالطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه ، وزعم أنّ هذا الاجماع في لغة العرب كذلك ، وبذلك أقصى دلالة الصراط على الذات على الرغم من أنّه أورد هذا الاحتمال في تفسيره . [٢٥]

ومن الذين التفتوا إلى احتمال تفسير الصراط بالذوات أو الهداية إلى الذوات الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان ، إذ قال في تفسير قوله تعالى : ((**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ**)) لم يبيّن من هؤلاء الذين أنعم عليهم ، وبيّن ذلك في موضع آخر بقوله: ((**فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**)) النساء ٦٩ فهو يرى أنّ الصراط هو من

أشارت إليهم الآية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ومن سار على منهجهم ففسر الصراط بالذوات .[٢٦]

وقد تنبه ابن عاشور إلى وجوب تفسير الصراط بالذات بقوله : (التعريف في الصراط المستقيم تعريف العهد الذهني ؛ لأنّهم سألوا الهداية لهذا الجنس في ضمن فرد ، وهو الفرد المنحصر فيه الاستقامة ؛ لأنّ الاستقامة لا تتعدد . [٢٧]

وهذا أحد الوجوه التي تلزم تفسير الصراط بالذات ، لإنّ الصراط بطبيعة دلالته يتضمن معنى الاستقامة ، و وصفه بالاستقامة لا يمنح الموصوف ملمحا دلاليا مغايرا ، لذلك اقتضى أن يكون الموصوف ذاتا حتى نفهم الحكمة من وصفه بالاستقامة .

ومما يؤكد دلالة الصراط على الذات الإشارة إليه باسم الإشارة كقوله تعالى : ((**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ**)) فهذا السياق يدل على أنّ المشار إليه ذات معلومة بين المتكلم والمخاطب ، لإنّ اسم الإشارة بطبيعة دلالته يشير إلى الذوات لا المعاني ليجعلها ماثلة حاضرة في ذهن المخاطب ، رغبة في إبرازها قصد تأكيدها ، حتى تزيد رغبته في التوجه إليها ؛ لإنّ المخاطب إذا اتضح عنده المشار إليه وتحدد تعيّن عليه اتباعه .[٢٨]

زد على ذلك اقتران لفظ الاتباع باسم الاشارة في سياق واحد مع لفظ (الصراط) مما يثبت بنحو جلي أنّ معنى الصراط ذات مقصودة ؛ لأنّ الاتباع يقتصر على الذوات لا المعاني ، والمعاني تفهم من خلال الذوات ،فنحن نتبع الذات التي تدلنا على القضايا المعنوية ، فضلا عن ذلك عود الضمير في قوله :((**فاتبعوه**)) على الصراط بصيغة الإفراد والتذكير ليتبين بنحو واضح أنّ الذي عاد عليه الضمير ذات محددة ومقصودة ؛ لإنّ النص القرآني لو أراد من الصراط الدلالة على القضايا المعنوية لقال : ((**أنّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوها**)) وبذلك تدخل الاحتمالات الأخرى بوصفها دلالات ممكنة للصراط ،ثم إنّ مصاحبة اسم الإشارة (هذا) للفظ الصراط في جميع السياقات في القرآن الكريم – إذ لم يرد غيره من أسماء الإشارة مع الصراط في كل السياقات تدل على أنّ المشار إليه ذات محددة .

والذي يؤيد ذلك أنّ النص القرآني إذا أراد من اللفظ ألاّ يختص بمعنى محدد جعل النسق الذي يرد فيه اللفظ نسقا مغايرا ليلفت الأذهان إلى تعدد الاحتمالات لمعنى ذلك اللفظ ،كقوله تعالى : ((**قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**)) يوسف ١٠٨ فباستعمال اسم الإشارة (هذه) في هذا السياق جعل المشار إليه يتسم بسمة الاتساع الدلالي فتنوعت تأويلات المفسرين لمعنى (سبيلي) [٢٩] وهذا ما لا نجده في سياقات الصراط فلم يرد مثل هذا التعبير في أي سياق من سياقات الصراط مما يؤكد القصدية في دلالة الصراط على الذات .

ثم إنّ اجتماع لفظتي (الصراط، والسبيل) في سياق واحد بعطف أحدهما على الآخر في قوله تعالى:((**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ**)) دلَّ دلالة قاطعة

على أنّ لهما معنيين مغايرين ، وهذا خلاف ما أشار إليه الطبري من اجتماع الأمة وأهل اللغة على دلالة الصراط بالطريق الواضحة [٣٠] ،ولو سلمنا بما ذهب إليه الطبري والمفسرون لقدحنا بأعجاز النظم القرآني و دقة بيانه ، إذ إنّ من بديهيات اللغة أن يكون المعطوف دالاً على معنى يغاير المعطوف عليه ، لأنّه لا يجوز عطف الشيء على نفسه في اللغة إلا إذا دلَّ المعطوف على معنى مغاير عن المعطوف عليه [٣١] وهذا يؤكد أنّ الصراط لا يمكن تفسيره بالطريق أو السبيل ، وأنّه في هذا السياق يدل على ذات مقصودة حثنا القرآن على معرفتها والتأمل في مقاماتها ، ولزوم اتباعها مما يستلزم تحديد دلالتها ، لإنّ ذلك السبيل الوحيد للنجاة ، ونيل الدرجات .

ومما يتقدم يتضح أنّ الصراط لا يمكن أن يدل على الإسلام ، لإنّ الإسلام عبارة عن تعليمات إلهية أدركتها الخلائق من خلال الذات الذين هم الأنبياء والأوصياء ، فالناس كانوا يجهلون هذه التعليمات ، ولذلك أرسل الله إليهم الأنبياء لإرشادهم ، فلو كان الصراط يدل على الإسلام لاستلزم الاعتقاد بأنّ الخلائق ألهموا التعليمات إلهاما وبذلك تنتفي الحكمة من إرسال الأنبياء ويقتصر الحساب على ما ألهم الله الناس به وتصبح الخلائق هي الصراط المستقيم ولا يبقى مسوّغ لأن يتبع بعضهم بعضهم الآخر ؛لأنّ كلاً منهم أصبح صراطا مستقيما بما ألهم من التعليمات وهذا لا يمكن قبوله أو تصوره ؛ لإنّ السنن الإلهية جرت على أن يكون النبي هو المرشد إلى الله ، وهو الذي يوقظ الناس من غفلتها وجهلها، فالأولى أن تكون الذات هي الصراط التي يلزمنا الله باتباعها ويكون المعلوم دليلا على المجهول لا المجهول دليلا على المعلوم .

وأما احتمال دلالة الصراط على القرآن الكريم فهي بعيدة من وجوه عدة ، منها : أنّ لفظ الصراط ورد ذكره على لسان الأنبياء الذين سبقوا النبي الأكرم ، بل ورد في أول حوار بين الله تعالى وإبليس في قوله تعالى : ((**قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ**)) الأعراف ١٦

وإذا سلمنا بدلالة الصراط على القرآن لاستلزم أن يكون القرآن نزل على الأمم السابقة وهذا خلاف المعهود والمشهور ، ومنها : أنّ القرآن نص يتعذر فهمه على عامة الناس ، ويعتمد في أغلب نصوصه على علم التأويل الذي اقتصر معرفته على الله والراسخون في العلم ، فإذا سلمنا بدلالة الصراط على القرآن اقتضى ذلك أن يكون المخاطبون به أجمعهم عارفين بتأويله حتى تقام الحجة عليهم بوصفه صراطا واضحا معلوما واجب الاتباع ، ولما تعذر ذلك انتفت دلالة الصراط على القرآن الكريم .

ومنها : أنّ سياقات الصراط لم يصاحبها لفظ القرآن ، ولا شك أنّ المصاحبات اللغوية لها أثر في توجيه الدلالة ، والإضاءة على بعض تفاصيلها ؛ لأنّ معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاور وحدات أخرى

وأنّ معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة

لها ، فللكلمة من المعاني ما تكتسبه من خلال الاقتران والمصاحبة [٣٢] ، ولما غاب الاقتران بين الصراط والقرآن ضعف احتمال دلالة الصراط على القرآن الكريم .

(سياق الحال وأثره في تحديد دلالة الصراط)

التفت البلاغيون وعلماء الدلالة إلى أثر سياق الحال في الكشف عن المعنى الذي لم يتمكن السياق اللغوي من بيانه ، واصطلحوا عليه بالسياق غير اللغوي ، أو المسرح اللغوي المرتبط بالحدث اللغوي [٣٣] فسياق الحال يؤدي وظيفة بيانية تسهم في تحديد دلالة الألفاظ ، وإزالة ما يكتنفها من غموض أو لبس [٣٤] ، ولما كان المعنى مقصدا يقع البيان عنه باللفظ اقتضى تحديد دلالة الألفاظ وبيان مقاصدها [٣٥] ويمكن القول إنّ سياق الحال هو السبيل الوحيد للكشف عن دلالة الصراط في القرآن الكريم من خلال الآتي :

١. دأب القرآن الكريم على أن يخص كل نبي أو وصي بوصف يميزه من غيره ، ولا يشترك فيه معه غيره ، فخص إبراهيم بالخلّة والإمامة ، كقوله تعالى : (**وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلً**) النساء ١٢٥ ، وقوله تعالى : (**وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا**) البقرة ١٢٤ ، وخص موسى بالتكليم ، كقوله تعالى :(**وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا**) النساء ١٦٤ ، وخص عيسى بروح القدس كقوله تعالى : (**وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ**) [٣٦] وخص النبي الأكرم بصفة الأميّ نسبة لأم القرى في مكة , كقوله تعالى : ((**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ**)) الأعراف ١٥٧, وخص الرجل الصالح من آل فرعون بصفة الإيمان , كقوله تعالى : ((**وقالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِن آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أن يَقُولَ رَبِّيَ اللّه**))غافر ٢٨ , وإنّما اختص كل موصوف بصفة تميزه من غيره لبيان التفاضل في المقامات كل بحسب زمانه لا بالمقارنة إلى سائر الأنبياء في الأزمنة المختلفة ؛ لأنّه مما لا شك فيه أنّ النبي الأكرم –صلى الله عليه واله – يمتلك أعلى الصفات فهو خليل الله وروح الله وكليم الله , لكنّ السنة القرآنية جرت على أن تخص كل موصوف بصفة لا على سبيل الأفضلية المطلقة بل على سبيل قابلية الموصوف واستعداده للوصول إلى تلك المقامات , وهذا يقتضي أن يختص الصراط بموصوف محددٍ لا يشترك فيه معه غيره كلما ورد ذكره انصرفت الأذهان إليه , إذ حين يقال خليل الله ينصرف الذهن إلى إبراهيم (عليه السلام) , وحين يقال روح الله ينصرف الذهن إلى عيسى(عليه السلام) , وحين يقال كليم الله ينصرف الذهن إلى موسى(عليه السلام) , لذا ينبغي حين يقال الصراط المستقيم أن ينصرف الذهن إلى موصوف محدد لا يشترك معه غيره , كما جرت سنة القرآن. والذي يؤكد ذلك ما روي عن الإمام الصادق –عليه السلام– عندما سلم عليه أحدهم فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين , فقام الإمام على قدميه فقال : هذا اسم لا يصلح إلا لأمير المؤمنين علي –عليه السلام – , الله

سماه به , قلت : فماذا يدعي به قائمكم ؟ قال : يقال له السلام عليك يا بقية الله , [٣٦] فالإمام يؤكد ما جرى عليه القرآن في أن يوصف كل موصوف بما وصفه الله وخصه به , وهذا يقتضي أن يقع الصراط على موصوف بعينه لا يشترك معه فيه غيره .

٢. أنّ القرنية الروائية تسهم بنحو واضح في تحديد دلالة الألفاظ , لاسيما إذا استفاضت تلك الروايات في تكرار معنى بعينه للفظ ما فذلك يبعث على الاطمئنان في قبول ذلك المعنى وترسيخه في ذهن المتلقي , و المتتبع للروايات المتعلقة بالصراط المستقيم يجد أنّها استفاضت في بيان أنّ المراد به هو علي ابن ابي طالب –عليه السلام – وسأعرض لبعض منها كالآتي :

– قال ابن عباس : كان رسول الله – صلى الله عليه واله – يحكم وعليٌّ بين يديه مقابله , ورجل عن يمينه , ورجل عن شماله , فقال : اليمين و الشمال مضلة , والطريق المستوي الجادة , ثم أشار بيده (و إنّ هذا صراط علي مستقيم فاتبعوه) [٣٧]

وروى الحافظ بن أبي الفوارس حديثا مسندا من طريق العامة , قال : أمطرت الدنيا مطرا عظيما ,فخرج رسول الله –صلى الله عليه واله – آخذا بيد أبي بكر فبلغ ذلك عليا فذهب مسرعا حتى لحق بهما , فلما رآه رسول الله فأخذ بيد علي وقال : مرحبا و أهلا بالقريب الحبيب , ثم تلا هذه الآية : ((**وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ**))

وقال : يا علي أنت الصراط الحميد .[٣٨]

وروى الحاكم النيسابوري بإسناده عن ابن عباس , قال : قال رسول الله –صلى الله عليه وآله – لعلي ابن ابي طالب : أنت الطريق الواضح , وأنت الصراط المستقيم , وأنت يعسوب الدين . [٣٩]

وروى القندوزي الحنفي عن رسول الله أنّه قال : يا علي أنت حجة الله , وأنت باب الله وأنت الطريق إلى الله , وأنت النبأ العظيم , وأنت الصراط المستقيم ... [٤٠]

وروى ابن عبد البر في الاستيعاب أنّ الرسول –صلى الله عليه وآله – قال : لا يجوز على الصراط أحد إلا ببراءة في ولاية علي –عليه السلام – [٤١]

وقال السيد شهاب الدين : مما قال علي –عليه السلام – على المنبر : (أنا النبأ العظيم , أنا الصراط المستقيم [٤٢] و ورد عنه – عليه السلام – أنّه قال : (أنا صراط الله المستقيم وعروته الوثقى) [٤٣]

واللافت أنّ هنالك كثيرا من الروايات في المصادر الموثوقة تؤيد هذا المعنى , مما يقتضي التسليم بذلك , إذ لا يمكن أن يغفل الباحث عما تواتر عند المسلمين ,ويركن في توجيه المعنى إلى أهوائه , لاسيما اذا كان اللفظ من ألفاظ القرآن الذي نهى الله أن يفسر بالاجتهاد , والرأي , إذ ورد عن ابن عباس عن النبي –صلى الله عليه واله – أنّه قال : (من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار) [٤٤] , ولذا تعد القرينة الروائية عنصرا رئيسا في تشكيل المعنى .

٣. تعد المعرفة بأسباب النزول أبين الوسائل في فهم معنى الآيات , وإزالة ما يكتنفها من غموض , إذ إنّ المعرفة بسبب النزول يكسب المعنى تحديدا , ويوجه الأذهان إليه , لذا عــدّه المفسرون العتبة الأولى لفهم النص , إذ ورد عن السيوطي أنّه قال : لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها , وأنّ بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن . (٤٥)

لذا يؤدي هذا العنصر وظيفة بيانية تسهم في توجيه دلالة الصراط واختصاصه بــعلي ابن أبي طالب , لإنّ الآيات التي ورد فيها لفظ الصراط كان السبب في نزولها علي بن طالب (عليه السلام) , والشواهد على ذلك كثيرة , منها ما ذكره المفسرون في سبب نزول الآيات في قوله تعالى : ((**هذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٢٢) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الانهارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٢٣) وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ**)) الحج ١٩ -٢٤ بإنّ سياق هذه الآيات يتحدث عن يوم بدر , والخصمان هما فريق المسلمين المتمثل بعلي وحمزة وأبي عبيدة , وفريق الكافرين المتمثل بعتبة و أخيه وابنه الوليد (٤٦) , فكلما يأتي ذكر الصراط في موضع ما تجده يتحدث عن علي –عليه السلام – وهذا الاقتران يؤكد اختصاص الصراط به ودلالته عليه . ومنها قوله تعالى : ((**وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ**)) ال عمران ١٠١،١٠٣ إذ ورد في هذا السياق ثلاثة أوصاف هي : (صراط مستقيم , وحبل الله ونعمة الله) وذهب جمهور المفسرين أنّ هذه الأوصاف تخص عليا –عليه السلام – (٤٧) , ومما يؤيد ذلك أنّ المختصين بأسباب النزول ذكروا سبب نزول قوله تعالى : ((**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي**)) لبيان اكمال الدين وتمام النعمة في يوم الغدير إذ إنّ هذه الآية نزلت بعد قوله تعالى : ((**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**)) المائدة \ ٦٧ وقد أجمع المفسرون على أنّ هذه الآية نزلت في التبليغ بولاية علي –عليه السلام – (٤٨) فهذه القرائن تؤكد قصدية القرآن في الإشارة الى أنّ معنى الصراط المستقيم هو علي – عليه السلام– .

(المصاحبة اللغوية بين الفعل هدى والصراط)

إنّ المتأمل في سياقات (الصراط) يلتفت إلى مصاحبة الفعل (هدى) له في السياقات أغلبها وهذه المصاحبة تكسب الصراط ملامح دلالية وسمات تعبيرية تضفي عليه جلالة وتشريفا , ويمكن بيان ذلك كالآتي :

١. إسناد الهداية إلى الصراط إلى الذات الإلهية , إذ لم يرد في أي سياق إسناد الهداية إلى الصراط لغير الذات الإلهية مما يكسب الصراط قداسة وتشريفا , ومن الشواهد على ذلك قوله تعالى : ((**وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**)) النور ٤٦ وقوله تعالى : ((**وَإِنّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**)) الحج ٥٤ وقوله تعالى : ((**قُلْ إِنّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**)) الانعام ١٦١ فاقتصار الهداية إلى الصراط على الذات الالهية يمنحه بعدا عقائديا شاملا يستدعي معرفته في كل زمان , وهذا يفسر لنا ورود الصراط على ألسنة الأنبياء السابقين , ويكشف الحكمة من احتجاج إبليس به مع الله ؛ لأنّه يعلم أنّ (الصراط)منظومة عقائدية شاملة ومهيمنة , ألزم الله الخلائق جميعا بمعرفته وجعله محل اختبار وبلاء لم ينجُ منه إلا القليل ؛ لذا قال إبليس –لعنه الله – : ((**لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ**)) الأعراف ١٦ إذ إنّه تحدى الله بالصراط لا غير إدراكا منه لهذه الحقيقة .

٢. – الفعل (هدى) يتعدى إلى مفعولين , والمشهور في استعماله أنّه يتعدى إلى المفعول الثاني بحرف الجر مما يقيد دلالته بمعنى ذلك الحرف [٤٩] , و من ذلك قوله تعالى: ((**الْحَمْدُ لِلّهِ الّذِي هَدَانا لِهٰذَا**)) الأعراف ٤٣ , وقوله تعالى : ((**وَإِنّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**)) الشورى ٥٢ , لكنه تعدى مع الصراط بنفسه إلى المفعول الثاني في موضعين هما : قوله تعالى : ((**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**)) الفاتحة ٦ وقوله تعالى : ((**وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**)) الصافات ١١٨ ليؤدي وظيفة دلالية مغايرة عما إذا تعدى إلى المفعول الثاني بحرف جر , وهي أنّ الفعل (هدى) في هذين السياقين لا يدل على معنى إلارشاد بل يدل على معنى إلايضاح والتثبيت , أي : بيان المعرفة بصاحب الصراط والتثبيت على تلك المعرفة , وقد التفت الزمخشري إلى هذا الملمح في قوله : ((فإن قلت : لم اطلقت الاستعانة ؟ قلت : ليتناول كل مستعان فيه , والأحسن أن تراد الاستعانة به وبتوفيقه , ويكون قولنا : (اهدنا) بيانا للمطلوب من المعونة كأنّه قيل : كيف أعينكم , فقالوا : (اهدنا الصراط المستقيم))) [٥٠] فأدرك الزمخشري أنّه لا يمكن تفسير الهداية في هذا السياق بالإرشاد و الدلالة بل فسره : بالبيان , و ورد عن ابن عباس أنّه فسر الهداية في هذا السياق بالتثبيت , فقال اهدنا , أي : ثبتنا [٥١] وطلب التثبيت على الشيء يستلزم المعرفة به , وهذا يؤكد أنّ الفعل هدى إذا تعدى بنفسه إلى الصراط لا يدل على الإرشاد

٣. ذهب بعض المفسرين إلى أنّ معنى الهداية في سياق الصراط هو طلب الزيادة في الإيمان , واستشهدوا بقوله تعالى : ((**إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى**)) الكهف ١٣ وهذا لا يؤيده الاستعمال القرآني , لإنّ السياقات التي ورد فيها الفعل (هدى) مع الصراط وغيره – لا تدل على طلب الزيادة في الهداية , بل تدل على طلب المعرفة بمن يمثله الصراط , والتوجه به إلى الله لأنّه الطريق الوحيد إليه , بدليل قوله تعالى : ((**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ**)) طه٨٢ إذ ذهب جمهور المفسرين إلى أنّ الهداية في هذا السياق لا تعني الأعمال الصالحة أو الزيادة في الإيمان , بل فسروه بالهداية إلى ولاية أهل البيت , قال الطبري : (اهتدى لولاية أهل البيت [٥٢]) و قال الحسكاني : (ثم اهتدى إلى ولاية علي ابن أبي طالب وحب آل محمد [٥٣]) , وقال القندوزي الحنفي : (ثم اهتدى إلى ولاية أهل بيت النبي ولن يهتدي من لم يهتد إلى ولايتهم [٥٤]) .

واللافت في شأن الآية أنّها وردت في سياق الحديث عن بني إسرائيل , إذ إنّ الآيات التي قبلها والآيات التي بعدها تتحدث عن بني اسرائيل , وهي قوله تعالى : ((**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ**)) طه (٨٠-٨٢) وهذا يدفع الشبهة القائلة باستبعاد دلالة الصراط على علي –عليه السلام – بحجة وروده على ألسنة الأنبياء السابقين إذ لا وجود لعلي في تلك الأزمنة ؛ لأنّ المفسرين بتفسيرهم معنى الهداية بولاية علي –عليه السلام– لم يلتفتوا الى اختلاف الأزمنة , بل استندوا إلى القرينة الروائية , ولا شك أنّ القرآن دفع هذه الشبهة بقوله تعالى : ((**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**)) **الصف** ٦ إذ بّين أنّ وظيفة الأنبياء الرئيسة التبشير بمحمد وأهل بيته , وأنّهم جزء من العقيدة التي على الناس الاعتقاد بها على الرغم من أنّهم لم يعرفوهم أو يعاصروهم , وهذا يكشف أنّ الصراط يمثل عقيدة مهيمنة فرضها الله على كل الخلائق وفي كل الأزمنة , وألزمهم بمعرفتها واتباعها , والتوجه إليه بها , لذلك تجد أنّ الصراط ورد على ألسنة الأنبياء السابقين , وعرفه إبليس واحتج به على الله .

٤. لو سلمنا بأنّ الهداية في سياق الصراط تعني الإرشاد , والصراط يعني الطريق أو السبيل – كما عليه أغلب المفسرين – لكان المعنى في قوله تعالى : ((**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**)) أرشدنا إلى الطريق الذي يوصلنا إلى الصراط لا الصراط نفسه , وكان التوجه إلى الوسيلة لا الغاية , وهذا خلاف الإرادة الإلهية التي حثت على معرفة الصراط ومن يمثله الصراط ولو تأملنا في قوله تعالى : ((**وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ (١١٤) وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (١١٥) وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (١١٦) وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ (١١٧) وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**)) **الصافات**

لاتضح استبعاد تفسير الصراط بغير المعرفة بأهل البيت , وأنّ الهداية تعني البيان لا غير , أي : بيّن لنا وعرّفنا منزلة أهل البيت وثبتنا على معرفتهم [٥٥], إذ لا يعقل أنْ يطلب موسى وهارون الزيادة في الهداية أو الإرشاد لها وهما أعلى مصاديقها وقد آتاهما الله الكتاب المستبين ثم يطلبان بعد ذلك الإرشاد أو الزيادة إلى الطريق , فأي هداية أهدى من نبوتهما ونزول الكتاب المستبين عليهما ؛ لذا تبين أنّ الصراط المستقيم شيئا آخر لا يتعلق بالأعمال الصالحة أو الاستزادة منها ., بل هو معرفة منزلة أهل البيت ومقاماتهم, وبيان ذلك لهما , لأنّه ذكر أنّه مــنَّ عليهما وأنجاهما , ونصرهما , وآتاهما الكتاب المستبين , ثم هداهما الصراط المستقيم , أي بلغهما أعلى مراتب المعرفة بمحمد وآله لما أبدياه من إخلاص وتضحية في سبيل الله .

ولو تأملنا في سياق الصراط الوارد في سورة الأنعام التي تعد أكثر السور التي ورد فيها ذكر الصراط لتبين بنحو جلي أنّه يدل على المعرفة بأهل البيت , وأنّ الهداية تعني طلب البيان لتلك المعرفة لبلوغ المقامات , إذ جاء في سورة الأنّعام : ((**وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٨٦) وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٨٧) ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**))

ففي هذا السياق نلمح ما يأتي :

١. أنّه جمع الأنبياء والأوصياء و وصفهم بأنّهم مهتدون على نحو الاطلاق إذ قال تعالى : ((**كُلًّا هَدَيْنَا**)) ,فلم يقيد الهداية للإشارة إلى تمامها في موصوفها , ومع ذلك لم يعبر عنهم بأنّهم هم الصراط المستقيم , بل قال : ((**وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**)) , وهذا يعني أنّ الهداية إلى الصراط لا تدل على إلارشاد إلى الطريق أو الاستزادة من الهدى .

٢. ورد في هذا السياق وصفهم بأعلى مراتب الهداية فوصفهم بالعلماء والمحسنين والصالحين ثم بلغوا مرتبة الاجتباء ومع هذه الكمالات لم يمثلوا الصراط المستقيم بل هدوا إليه وهذا يؤكد أنّ الصراط المستقيم لا يتعلق بالأعمال والإيمان بل بشأن آخر هو معرفة أهل ألبيت .

٣. –جاء في نهاية هذا السياق قوله تعالى : ((**ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ**)) فأشار إلى الصراط المستقيم وأخبر بأنّ الهداية إليه تمثل هدى الله , ولو كانت إلاشارة الى الأنبياء لقال : ((أولئك هدى الله)) وبهذا يتضح أنّ الصراط هو معرفة علي (عليه السلام) وأهل البيت .

(المصاحبة اللغوية بين الصراط و الاستقامة)

إنّ من القضايا السياقية اللافتة للفظ الصراط وصفه بالاستقامة في كل السياقات التي ورد فيها , وهذه المصاحبة تستدعي التأمل حتى يتسنى لنا الوقوف على الملامح الدلالية التي يهدف إليها النص من وراء ذلك .

وقد ذهب المفسرون إلى أنّ وصف الصراط بالاستقامة هو المبالغة في معنى الهداية والاعتدال إيمانا منهم بدلالة الصراط على الاستقامة , قال الزمخشري : ((ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على أبلغ وجه وآكده , كما تقول : هل أدلك على أكرم الناس وأفضلهم : فلان ؛ فيكون ذلك أبلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك : هل أدلكم على فلان الأكرم والأفضل , لأنّك ثنيت ذكره مجملاً أولاً , ومفصلا ثانيا وأوقعت فلانا تفسيرا وإيضاحاً للأكرم والأفضل فجعلته علما في الكرم والفضل)) [٥٥]

ولذلك قالوا : إنّه لما كان القصد المبالغة في توكيد معنى الاستقامة في الصراط أبدل منه **(صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ)** بدل كل من كل , وهو بدل معرفة من معرفة , والغرض منه الإيضاح بعد الإبهام , لإنّه يفيد توكيدا من حيث المعنى إذ هو على نية تكرار العامل فهو إجمال يعقبه تفصيل ليتمكن في النفوس خير تمكين .[٥٦]

وهذا التوجيه غير مقبول للأسباب الآتية :

١. أنّ معنى الصراط عند المفسرين غير محدد بل ذهبوا فيه إلى وجوه عدة فكيف يتسنى لنا معرفة الموصوف بالاستقامة حتى نسقط عليه الأحكام اللغوية , فعليهم أن يحددوا دلالة الصراط ثم البحث عن ألاسرار البيانية والبلاغية الكامنة وراء وصف الصراط بالاستقامة , لأنّ الأوجه التي ذكروها في معنى الصراط لا تتلاءم مع توجيههم المذكور آنفا .
٢. لو سلمنا بما ذهبوا إليه من أنّ الاستقامة تعني المبالغة في وصف الاستقامة الملحوظة في الصراط لاقتضى ذلك التنويع في تراكيب الصراط وألفاظه, فيقال مثلا : (صراط المؤمنين ,وصراط الصالحين , وصراط المتقين) مما يبعث في نفوس المؤمنين الرغبة في العمل والتشويق له , والتفاضل بينهم لبلوغ تلك المراتب ولكن بالتزام السياق القرآني لصيغة واحدة لوصف الصراط استبعد احتمال دلالة الصراط على الأعمال الصالحة , ودلالة الاستقامة على المبالغة في وصفها إذ لا يمكن أن تكون أعمال الخلائق متطابقة تماما حتى توصف بوصف ثابت , إذ لاشك أنّ هناك تفاوتاً وتفاضلًا بين أعمال المؤمنين يستلزم تنوع الأوصاف واختلافها ليلائم كل وصف موصوفه قال السهيلي : ((لما جاء وصف الصراط بالاستقامة بتعريف الصفة والموصوف دل على أنّ الموصوف يتصف بصفة ثابتة بلغت الكمال في معناها)) [٥٧] , وهذا يقتضي أن تكون الخلائق بلغت حد الكمال وهذا غير ممكن .

٣. ذهب كثير من المفسرين إلى أنّ الأنبياء هم الصراط المستقيم وهذا يقتضي أن يكونوا بمنزلة واحدة ؛ لأنّ الصراط المستقيم –كما مرّ– وصف ثابت لملازمته صيغة واحدة وذلك يخالف صريح القرآن في أنّ الله فضل بعضهم على بعض , كقوله تعالى : ((**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ**)) البقرة ٢٥٣ فاذا كان الأنبياء هم المخصوصون بالصراط المستقيم لاستلزم أن يكونوا بمنزلة واحدة والحال ليس كذلك ممّا يؤكد أنّ الصراط المستقيم لا يمكن أن يوصف به أي موصوف بل هو وصف خاص بموصوفه , وهو علي (عليه السلام) وأهل بيته لأنّهم الفئة الوحيدة التي وصفها الله بالاستقامة الملكوتية الذاتية منذ أن خلقهم الله , وقصر ذلك عليهم كقوله تعالى ((**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**)) الأحزاب ٣٣

واللافت أنّه قال : (ليذهب عنكم الرجس ولم يقل : ليذهب منكم الرجس) ليؤكد خلوَّ ذواتهم من الرجس فطرةً وأصلاً إذ لو قال : (ليذهب منكم) لدل على أنّ الرجس قد يكون فيهم وعصمهم الله منه , لكن بقوله (عنكم) دل على أنّ الرجس لا يوجد فيهم أصلاً , وهذا يبين أنّ وصفهم بالاستقامة لاعلى سبيل الأعمال بل هي استقامة ثابتة فيهم , وأنّهم المصداق الأوحد لتمثيل الصراط لانطباق خصائصه عليهم .

٤. لو كان معنى الاستقامة المبالغة في الهداية لكانت الاستقامة أعلى رتبة من الأنبياء , ولكانت الاستقامة هي الدالة على الأنبياء لا الأنبياء هم الدالّون على الاستقامة وهذا يقتضي أنّ الأعمال الحسنة هي الدليل على نبوة الأنبياء , وأنّ النبوة من لوازم الاستقامة في الهداية , في حين أنّ النبوة هي مصدر الاستقامة والدالة عليها , لذلك نجد في سياقات متنوعة أن تذكر أوصاف للأنبياء أعلى من الاستقامة ثم بعد ذلك تشير السياقات إلى أنّهم هدوا إلى الصراط لا الصراط نفسه ,

كقوله تعالى : ((**شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**)) **النحل ١٢١** فهذه الآية تتحدث عن إبراهيم الخليل وبّينت أنّ الله اجتباه لما أبداه من إخلاص في الطاعة وتضحيات عظيمة حتى بلغ مقام الخلّة والإمامة وهذه المقامات أعلى من الاستقامة في الهداية وحسن السيرة لذا لا يمكن أن تدل الاستقامة على المبالغة في الهداية بل لابد أن تدل على مقام أعلى مما تقدم وصفه حتى تستحق الهداية إليها مما يؤكد بنحو واضح أنّ الصراط المستقيم لا يدل على الأعمال أو المبالغة في الهداية بل يختص بـــعلي وأهل بيته .

٥. التفت بعض المفسرين إلى الغرض الذي من أجله وقع تغييرا في النظم في قوله تعالى : ((**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ**)) إذ إنّ لفظ الصراط جاء في سياق التعليل المنطوي على معنى الشرط , وأنّ لام التعليل محذوفة على ما هو مقيس مع (أنّ و أن) وتقدير النظم : ((واتبعوا صراطي لأنّه صراط مستقيم , فوقع تحويل في النظم بتقدير التعليل على الفعل الذي حقه أن يكون معطوفا , فصار التعليل بمنزلة الشرط وجاء في هذا السياق لفظ الاستقامة حالاً لا صفة ليؤكد

حضور الصراط في ذهن المخاطب لأنّ مجيء الحال من اسم الإشارة يؤكد أنّ اللفظ المشار إليه متعين تعّين ذات لامعنى , وأنّه مشاهد محدد ومعلوم , ولكثرة ذكره عرفه المخاطب وتبينه , ثم حسن وقوعه حالاً لبيان أنّه بني على ادعاء المشاهدة حتى يستحضر في الذهن بمجمل كلياته , وما جربوه منه , وعرفوه , فالعدول في هذا السياق أدى وظيفة بيانية كرست دلالة الصراط على الذات في الأذهان , ممّا يستلزم أن يكون معلوما لدى المتكلم والمخاطب حتى يتسنى إقامة الحجة على المخاطب بلزوم الاتباع)) [٥٨] .

(قضايا بيانية في سياقات الصراط)

١. التزم النص القرآني مصاحبة الفعل (هدى) للفظ (الصراط) مع الأنبياء في السياقات كلها إلا سياقا واحدا عدل عنه إلى الفعل (دعا) في قوله تعالى : ((**وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**)) لبيان أمرين :

الأمر الأول : أنّ المخاطب في هذا السياق فئة ضالة منحرفة بلغت أقصى درجات الانحراف والضلال , فلم يشأ النص القرآني أن يمنحهم تشريفا باستعمال الفعل (هدى) لما يحمله هذا الفعل من استلطاف وعناية , فعدل عنه إلى الفعل (دعا) ليسلبهم أدنى درجات التشريف ، رغبة في التنبيه على قبحهم وشدة إنكار السماء لهم ، إذ جاء فيهم قوله تعالى : ((وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ))

والأمر الآخر: بيان خصوصية وعظمة الرسول – صلى الله عليه وآله – عن سائر الأنبياء بتمثيله للصراط أو الدعوة إليه , إذ جعل الله النبي –صلى الله عليه وآله – و علياً –عليه السلام– بمنزلة واحدة في شأن الصراط لا في شأن النبوة , فالنبي هو الصراط وهو الداعي إلى الصراط , وهذا ما لم يبلغه جميع الأنبياء الذين بيّن لنا فيهم النص القرآني بأنّهم هدوا إلى الصراط في سياقات متنوعة , لذلك لم يرد الفعل (دعا) في سياقاتهم .

٢. إنّ من القضايا البيانية اللافتة في سياقات (الصراط) وروده مضافا في أكثر من موضع , وقد لازمت إضافته ألفاظا خاصّة ليؤدي معاني مقصودة, والإضافة من الأساليب اللغوية التي تمنح المضاف معاني أخرى يكتسبها من قيمة المضاف إليه , فكلما زاد المضاف إليه قداسة وشرفا ألبس المضاف تلك القداسة ، و كلما كان المضاف إليه مبتذلاً ألبس المضاف ابتذالا وانحطاطا , فضلاً عن ذلك تعد الإضافة أسلوبا لغويا يقيد المعنى ويحدده وهذا ما أكده البلاغيون في أغراض الإضافة وفوائدها [٥٩] . ولذلك فهي من القرائن اللغوية التي تؤكد دلالة الصراط على معنى محدد و معلوم لدى المتكلم و المخاطب ومن اللافت أنّ إضافة الصراط للألفاظ لها علاقة بدلالته على أهل البيت من ذلك إضافته لصفة الحميد في قوله تعالى ((**وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ**)) , وصفة (الحميد) تلازم سياقات أهل البيت في الكتاب والسنة من ذلك قوله تعالى ((**رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۚ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ**)) **هود – ٧٣** , وجاء في الدعاء المشهور

عن النبي –صلى الله عليه واله– :(اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم و آل إبراهيم إنّك حميد مجيد) [٦٠] , وهذه المصاحبة تمنح إضافة الصراط إلى الحميد إضاءة واضحة في كون المعنى المقصود بالصراط هم أهل البيت لتضافر القرائن على ذلك . و أضيف الصراط إلى الضمير العائد على الذات الإلهية في موضعين هما :

قوله تعالى : ((**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ**)) و قوله تعالى : ((**قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ**)) و المتأمل في سياقات القرآن يجد أنّ الله إذا أراد التنبيه على عظمة معنى معين في الخير أو العذاب عمد إلى أضافة الالفاظ الى الضمير العائد إليه , من ذلك ما ورد في قوله تعالى ((**وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ**)) إذ لما أراد أنّ ينبه على شدة تلك اللعنة التي خص بها إبليس أضافها إليه بصيغة الضمير [٦١] , فكذلك فعل مع الصراط حين أضافه إليه بصيغة الضمير لينبه على عظمة شأنه وجلالة قدره . ولم يقتصر النص القرآني على ذلك بل أضاف الصراط إلى الذات الإلهية المقترنة بملكية السماوات والأرض في قوله تعالى : ((**صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**)) **الشورى ٥٣** ولا ريب أنّ إضافة الصراط الى هذا الاسم الخاص بالذات الإلهية يشي بأسرار عظيمة , منها كسب المضاف عظمة وقدسية لا نظير لها , لأنه أضيف إلى اسم (الله) المتضمن لجميع الصفات التي تحضر في الذهن عند ذكره , ومنها الإحاطة والشمول التي اكتسبها المضاف بإحاطة وشمول المضاف إليه وهيمنته المطلقة , ومنها :اقتران تلك الأضافة بملكية السماوات والأرض مما يكشف عن المقامات غير المتناهية للمضاف التي فاقت جميع مقامات الأنبياء إلا الرسول الاكرم _صلى الله عليه وآله وسلم– الذي خصه الله بأعلى منها كقوله تعالى ((**وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَن أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ**)) **التوبة ٧٤** فعطف (رسوله)على لفظ الجلالة في صفة الغني الخاصة بالله لكن الله أشرك رسوله معه في هذه الصفة لبيان عظمته غير المتناهية ,وتفرده عن سائر المخلوقات .

٣. عدل الاستعمال القرآني عن وصف الصراط بالاستقامة إلى وصفه بالسوي في أكثر من موضع كقوله تعالى ((**يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا**)) **مريم ٤٣** وإنّما عدل عن وصف الصراط بالاستقامة في هذا السياق لبيان أمرين أحدهما : أنّ إبراهيم يمثل صراطا سويا لا صراط مستقيما وهذا دليل واضح على اختصاص الصراط بأهل بيت النبوة ، والآخر أنّ الآية تريد الإخبار بأنّ المخاطب لو اهتدى على سبيل الافتراض فأنّه لا يستحق منزلة الاهتداء إلى الصراط المستقيم ، لإنّ الآية خاطبته على أنّه يعبد الشيطان في قوله تعالى : ((**يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا**)) **مريم ٤٤** فضلاً عن صون (الصراط المستقيم) من اقترانه في سياق كهذا الذي يكون فيه المخاطب متسافلاً إلى أدنى الدرجات .

٤. جاء في قوله تعالى ((**وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**)) قرائن لغوية مصاحبة لسياقات الصراط تختص بوصف علي (عليه

السلام) دون سواه مما يؤكد اختصاص الصراط به ، إذ ورد في سياق الآية عبارة((**أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ**)) والتناص القرآني لهذه العبارة يقودنا إلى قوله تعالى ((**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ**)) **المائدة ٦٧** التي أجمع فيها المفسرون و العلماء على أنّ المقصود بهذا الخطاب (علي – عليه السلام) وبيعته يوم غدير خم و ورد في هذا السياق عبارة (هو الحق) واصفة الذي أنزل من ربك بإنه هو الحق ,والتناص الديني لهذا الوصف يقودنا إلى من اختص به دون سواه وهو علي –عليه السلام– ففي المأثور عن الرسول –صلى الله عليه واله– بحق علي قوله : (علي مع الحق ,والحق مع علي يدور معه حيث دار) [٦٢]

النتائج

١- ظن كثير من المفسرين واللغويين أنّ لفظة (الصراط) مستعملة في اللسان العربي في الجاهلية ، وأوردوا شاهداً أو شاهدين موضوعين لشعراء مختلف في نسبتهم ، و هذا لا يمكن أن يكون دليلاً علمياً لتوثيق استعمال الالفاظ اللغوية والقرآنية ؛ لذا بينت الدراسة أنّ لفظ (الصراط) لم يكن مستعملاً عند العرب بدليل أنّه لم يذكر له أشتقاق ولم يرد بصيغة التأنيث أو التثنية أو الجمع ، بل هو لفظ توقيفي جاء به القرآن وأخبر أنّه مستعمل على لسان آدم وسائر الأنبياء .

٢- فسّر كثير من المفسرين واللغويين (الصراط) بالسبيل أو الطريق وهذا غير ممكن ؛ لأنّ ذلك يؤدي إلى الاعتقاد بوجود ظاهرة الترادف في القرآن وهذا لا يمكن قبوله في نص معجز مقصود وضعت فيه الألفاظ بنحو يؤدي كل لفظ معنى لا يمكن أن يؤديه غيره ، فضلاً عن ذلك أثبتت الدراسة بقرائن كثيرة بأنّ الصراط له معنى مقصود تختلف عن السبيل والطريق بدليل أنّهما وردا في سياق واحد في أكثر من موضع بأسلوب العطف الذي يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه .

٣- بيّنت الدراسة أنّ لفظ (الصراط) يتصف بخصائص دلالية ونفسية وعقائدية ويضفي هيبة وخشوع لدى المتلقي فهو يصرف الذهن إلى منازل الآخرة ويترك في النفوس أثرا عميقا بخلاف غيره من الألفاظ التي ظن الكثير أنّها تؤدي معناه كالسبيل والطريق .

٤- وقفت الدراسة على ظاهرة بيانية لافتة في سياقات (الصراط) هي أنّه لم يجر الحديث عنه على أي لسان بل اقتصر الحديث عنه بالله فقط فاقترن الصراط في جميع السياقات بالذات الإلهية .

٥- أثبتت الدراسة بأنّ الصراط لا يدل على القرآن – كما ذهب إليه بعض المفسرين – لأنّه ورد ذكره على لسان الأنبياء السابقين مما يستلزم معرفتهم بالقرآن وهذا لا يمكن تصوره لأنّ القرآن كتاب خاص بأمة محمد (صلى الله عليه واله وسلم) فإذا كان الصراط يدل على القرآن لزم أن يكون القرآن كتابا عامًّا لكل الأنبياء

٦- بينت الدراسة أنّ الصراط لا يمكن تفسيره بالأنبياء – كما ذهب إليه الكثير من المفسرين – لأنّ السياقات القرآنية كشفت بأنّ الله يهدي الأنبياء إلى الصراط فلم يرد نص ذكر بأنّ الانبياء هم الصراط بل يهدون إلى الصراط والذي يُهدى إلى شيء لا يمثل الشيء المهدى إليه ، فضلاً عن ذلك كشفت السياقات القرآنية بأنّ الصراط أعلى منزلة من النبوة بدليل أنّ الانبياء كلّهم يدعون الله أن يبلغهم الصراط

٧- أثبت الدراسة بأنّ الصراط وصف خاص بعلي بن طالب عليه السلام ولا يشاركه فيه الإ الرسول وأهل البيت ، فكما خص القرآن كل نبي وعبد صالح بوصف ما إن ذكر أنصرفت الأذهان إليه خص علي – عليه السلام – وأهل البيت بوصف الصراط المستقيم وقد أشارت الدراسة إلى تواتر الأخبار بهذا الشأن من العامة والخاصة .

٨- اقتران الصراط بوصف الاستقامة في السياقات كلها الإ في موضعين وصف بالسوي وقد أشارت الدراسة إلى السر في ذلك ، ثم إنّ الاستقامة ليست نسبية بل هي ذاتية ملكوتية من خلال قرائن كثيرة أشارت إليها الدراسة .

٩- صاحب لفظ الصراط في جميع السياقات الفعل هدى وكانت لهذه المصاحبة أسرار بيانية أشارت إليها الدراسة إلا في سياق واحد عدل عنه إلى الفعل دعا ليلفت الأذهان إلى ملامح دلالية فصلت الدراسة القول فيها .

١٠ - أضيف الصراط الى الذات الإلهية في سياقات متنوعة ، واختصت تلك الإضافة بأن يكون المضاف إليه لفظ الجلالة أو أشرف أسمائه مما كسب المضاف جلالة وقداسة وإحاطة وشمولاً جعلت (الصراط) يبلغ مقاماً يفوق كل المقامات مما جعله غاية لكل الأنبياء والصالحين .

الهوامش

١) ينظر : منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث : ١٨٥

٢) ينظر : مفهوم المعنى دراسة تحليلة : الحولية : ٦ ، الرسالة : ٣١

٣) ينظر : مفهوم الدلالة عند ابن فارس في كتابه الصاحبي ، مجلة الفكر العربي المعاصر ع/١٨،١٩/ص١٨٢،١٨٣

٤) ينظر : التعبير الفني في القرآن الكريم : ١٨٥،١٨٦

٥) ينظر : الزينة في الكلمات الإسلامية : ج٢/٢١٧

٦) ينظر الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري : ٣٣٤

٧) المفردات في غريب القرآن :٣٣٧

٨) ينظر :الكشاف : ج١/١٥

٩) ينظر : تاج العروس للزبيدي : ١٩/٣٥٤ (سرط)

١٠) ينظر :روح المعاني : ج١/١٤٢

١١) ينظر : سورة هود دراسية لغوية ودلالية ، رسالة دكتورة :٢٨

١٢) المفردات في غريب القرآن : ٦

١٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ج١/١٥٠

١٤) دلائل الإعجاز للجرجاني : ج١/١٧٣

١٥) ينظر البلاغة و الأسلوبية ، د محمد عبد المطلب : ٢٣٠

١٦) ينظر : دراسات مقارنة للكلمة ، عبد الباقي الصافي : ٢٠٥

١٧) ينظر : البلاغة والأسلوبية : ٢٣٠

١٨) ينظر : التعبير القرآني ، الأستاذ فاضل السامرائي :١٥٨

١٩) ينظر: علم المعاني ، دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني : ١٠٣،١٠٤

٢٠) ينظر : المصدر نفسه : ١٠٤

٢١) ينظر: المصدر السابق : ١٠٣ ، ١٠٤

٢٢) ينظر: روح المعاني : ج ٣٠/٥٢٢

٢٣) ينظر: تفسير ابن عاشور : ج١/١٨٧

٢٤) ينظر: تفسير جامع مع البيان للطبري : ج١/١٦٧،١٦٨

٢٥) ينظر : المصدر نفسه : ج١١٦٨

٢٦) ينظر : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : ج١ ١ ٣،٤٢

٢٧) تفسير ابن عاشور : ج١/١٨٨

٢٨) ينظر : المصدر نفسه : ج٨/ ٦٢،٦٣

٢٩) ينظر : البحر المحيط :ج٥/٤٥١

٣٠) ينظر :جامع البيان عن تأويل أي القرآن : ج١/١٦٨

٣١) ينظر : مجموع الفتاوى ، لابن قيم الجوزية : ج٧/١٧٢،١٧٣

٣٢) ينظر : علم الدلالة ، أحمد مختار عمر : ٦٨،٦٩

٣٣) ينظر : دراسات في علم اللغة : القسم الثاني : ١٦٥

٣٤) ينظر : السياق أنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني : مجلة القادسية في الأداب والعلم التربوية ، المجلد التاسع ، العدد الثاني ، ص ٥١

٣٥) ينظر :الحدود في النحو للرماني :٤٢

٣٦) تفسير العياشي :ج٣٠٢/١

٣٧) بحار الأنوار : ج٣٦٦/٣٥

٣٨) كتاب الأربعين لابن الرسام : ٢٨

٣٩) شواهد النزيل : ج ٥٨/١

٤٠) ينابيع المودة ، باب ٤٩٦/٩٥

٤١) الاستيعاب : ج٤٥٧/٢

٤٢) توضيح الدلائل في تصحيح الفضائل : ١٦٥

٤٣) ينظر : بحار الأنوار : ج٧٠/٨

٤٤) سنن الترمزي ، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه ، (٢٩٥٢)

٤٥) الاتقان : ج٨٨/١

٤٦) ينظر : التفسير الكبير : ج٢٠/٢٣

٤٧) ينظر : تفسير الثعلبي : ج١٦٣/٣

٤٨) ينظر : تأريخ دمشق لابن عساكر : ج٢٣٣،٢٣٢/٤٢

٤٩) ينظر : تاج العروس : (هدي) ج٢٨٤/٤٠

٥٠) الكشاف للزمخشري : ج١٦،١٥/١

٥١) ينظر : المصدر نفسه : ج١٥/١

٥٢) جامع البيان للطبري : ج٣١٧/١٦

٥٣) شواهد التنزيل : ج٣٥٣/١

٥٤) ينابيع المودة : ج٣٣٠/١

٥٥) ينظر: الكشاف : ج ١٥/١

٥٦) الكشاف : ج١٦،١٥/١

٥٧) ينظر : نتائج الفكر للسهيلي : ٢٤

٥٨) ينظر : تفسير ابن عاشور : ج١٤٩/٨

٥٩) ينظر : البليغ في المعاني والبيان والبديع : ٦٧

٦٠) صحيح البخاري ، باب حدثنا موسى بن إسماعيل ، برقم (٣٣٧٠)

٦١) ينظر : تفسير ابن عاشور : ج٤٥٧/٢٣

٦٢) ينظر : المصدر نفسه :ج٤٨٩/٢٥

المصادر والمراجع

١) الاتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشيء الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة : ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤،

٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ابن عبد البر يوسف بن عبدالله المالكي ، المحقق : محمد البجاوي الناشر : دار الأجيال ، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م ط١

٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، الشنقيطي محمد الأمين ، الناشر : مجمع الفقه الإسلامي بجدة ، دار علم الفوائد ، ٢٠١٣

٤) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، العلامة المجلسي محمد باقر بن محمد تقي ، الطبعة الثانية المصححة ،١٤٠٣هـ ١٩٨٣م

٥) البحر المحيط أبي حيان الأندلسي ، أثير الدين محمد بن يوسف ، حقق أصوله وعلق عليه وخرّج أحاديثه : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت البنان

٦) البلاغة والأسلوبية ، ومحمد عبد المطلب ، مطابع الهيأة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤

٧) البليغ في المعاني والبيان والبديع ، الشيرازي الشيخ أحمد أمين ، ط١ ، ٤٢٢ ١ هـ

٨) تأريخ دمشق ، ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ،تحقيق : عمر بن غرامة العموري ، الناقر : ١٤١٥هـ ١٩٩٥م

٩) تاج العروس من جواهر القاموس ، الزَّبيدي السيد محمد مرتظى الحسيني ، تحقيق : جماعة من المحققين ، سلسلة تصدرها وزارة الإعلام في الكويت ، التراث العربي ، مطبعة حكومية كويتية ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م

١٠) التحرير و التنوير ،ابن عاشور محمد بن طاهر ، الناشر : الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٤

١١) التعبير الفني في القرآن الكريم ، بكري شيخ أمين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١ ١٩٩٤

١٢) التعبير القرآني ، الأستاذ فاضل السامرائي ، أستاذ بكلية الأدب ، جامعة بغداد ، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، تسلسل التعضيدة (١٥) للسنة الدراسية ١٩٨٦،١٩٨٧م

١٣) تفسير العياشي المحدث العياشي أبي نصر محمود بن مسعود ، تصحيح وتعليق : السيد هاشم رسول المحلاتي ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م

١٤) التفسير الكبير ، الرازي فخر الدين محمد بن عمر الشافعي ، قدم له : هاني الحاج ، حققه وعلّق عليه وخرج إحاديثه : عماد زكي البارودي ، المكتبة التوقيفية ، مصر

١٥) جامع البيان عن تأويل أي القرآن ، ابن جرير الطبري ، تحقيق : تقديم الشيخ علي الميس ، ضبط وتوفيق وتخريج : صدقي جميل العطار –١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م

١٦) الحدود في النحو ، الرّماني أبو الحسن علي بن عيسى ، تحقيق : بتول قاسم ناصر مجتزئ من مجلة المورد دار الشؤون الثقافية العامة في العراق ، العدد الأول ، المجلد الثالث والعشرون

١٧) دراسات في علم اللغة ، القسم الثاني ، كمال بشر ، مطابع دار المعارف بمصر ، ط٢ ١٩٧١

١٨) دراسات مقارنة للكلمة ، عبد الباقي الصافي، مجلة كلية الآداب ، جامعة البصرة العدد الرابع /٥

١٩) دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، الناشر : مكتبة الخانجي مطبعة المدني

٢٠) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، الألوسي أبو الفضل شهاب الدين ، تحقيق وتخريج : السيد محمد السيد ، سيد إبراهيم عمران ، دار الحديث ، القاهرة، ١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٥م

٢١) الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ، الرازي أبو حاتم محمد بن إدريس ، دار الكتاب العربي بمصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٧م

٢٢) سورة هود – دراسة لغوية دلالية ، رسالة دكتوراه ، عبد الكريم ناصر محمد الخزرجي ، جامعة البصرة ، كلية الأدب ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م

٢٣) السياق أنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني دخليل خلف بشير ، مجلة القادسية في الآداب العلوم التربوية ج٩ / ع٢ /٢٠١٠

٢٤) سنن الترمذي ، محمد بن عيسى الترمذي ، تحقيق و دراسة بشار عواز معروف ، الناشر دار الغرب الإسلامي : بيروت ١٩٩٨ : مراكز البحوث وتقنية المعلومات، دار التأصيل
٢٥) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل ، الحاكم النيسابوري ، تحقيق : الشيخ محمد باقر المحمودي ، مؤسسة الطبع والنشر –ط٢
٢٦) صحيح البخاري ، البخاري محمد بن إسماعيل ، الناشر : دار ابن كثير ، لبنان ، بيروت ط١ ، ١٤٢٢ هـ
٢٧) علم الدلالة ، أحمد مختار عمر ، مكتبة العروبة – الكويت – ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م
٢٨) علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني ، د.بسيوني عبد الفتاح ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط ٢
٢٩) الفروق اللغوية ، العسكري أبو هلال الحسن بن عبدالله ، علق عليه ووضع حواشيه : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط٤ ،٢٠٠٦
٣٠) فضائل الثقلين من كتاب توضيح الدلائل على ترجيع الفضائل ، شهاب الدين أحمد الشافعي تحقيق : حسين الحسنى البير جندي ، مركز التحقيقات والدراسات العلمية التابعة للمجموع العلمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية
٣١) كتاب الأربعين من الأحاديث النبوية الشريفة ، ابن الرسام – مخطوط – المكتبة الشاملة
٣٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الزمخرشي جار الله ، الناشر : مكتب الاعلام الاسلامي ، تأريخ النشر : ١٤١٤هـ – ط١
٣٣) الكشف والبيان في تفسير آيات القرآن ، الثعلبي أحمد بن محمد بن إبراهيم ، تحقيق : الامام أبي محمد بن عاشور ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ،ط١ ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠٢
٣٤) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ابن الأمير ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٩٥ م
٣٥) مجموعة الفتاوى ، ابن قيم الجوزية ، الناشر : مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥م
٣٦) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، تحقيق : صفوان عدنان الرواي ، الناشر دار القلم ، الدار الشامية ، دمشق ، بيروت ،٢٠٠٩م
٣٧) مفهوم الدلالة عند ابن فارس في كتابه الصاحبي ، صبحي البستاني ، مجلة الفكر العربي المعاصرة ، ع ١٩،١٨\١٩٨٥
٣٨) مفهوم المعنى دراسة تحليلية ، عزمي إسلام ، حوليات كلية الأدب ، جامعة الكويت الحولية السادسة ، الرسالة ٣١/١٩٨٥
٣٩) منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث ، علي زوين ،ط١، بغداد ١٩٨٦
٤٠) نتائج الفكر ، السهيلي أبو القاسم عبد الرحمن ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ط١ ،١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م
٤١) ينابيع المودة ، القندوزي الحنفي ، الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م